القصص

الميتـــة . . .

بقلم الكاتب القصصى « جى دى موباسان »

ترجمة الاستاذ خليل هنداوى

أحببتها حتى غلب علىّ فيها الذهول ، ولماذا أحببتها ؟ أغريب شانى إذا لم ترعيناى إلا كائناً واحداً ، ولم تحمل نفسى إلا فكرة واحدة ، ولم ينطو قلبى إلا على أمنية واحدة ، ولم يتسع فمى إلا لاسم واحد ؟ ذلك الاسم الذى يصعد من فمى تكرارا . ومن أعماق روحى مرارا ، كأنه ينبوع متفجر . أقوله وأعيد فيه القول ثانية وثالثة كأنه صلاة أذكرها وأرددها .

لن أقص عليكم ما غشينى فى هذا الحب ، ومتى كان للحب حكايات متعددة ، وروايته فى كل زمان ومكان واحدة . قدرأيتها وأحببتها ، وهذا كل ما فى روايتى .

قضيت زمنا — ويا حبذا ذلك الزمن — يغمرنى عطفها ، وتحوطنى بذراعيها ، وتشبعنى نظراتها ، ورداؤها وكلماتها . بل فنيت فيها حتى غلب على الذهول فأصبحت لاأدرى : اذلك الليل او النهار يحيط بى ؟ وأنا فى قيد الحياة أوفى سجل الاموات ؟ وهل انا على ارض غير الارض ؟

والآن ماتت ، فكيف سطا عليها الموت ؟ لاأدرى . لاأعلم ، دخلت على أمسية ليلة من ليالى الشتاء مبللة الاثواب فنامت ، فتيقظت وهى ترسل السعال ملحة فلزمت سريرها مضطرة .

وبعد ذلك لاأعلم . .

الاطباء حشدناهم من كل صوب . فكانوا يقدمون ويكتبون ويذهبون . والعلاجات تنهال عليها وازاءها امرأة ترعاها . يدها حارة الملمس . وجبينها متوقد . ونظرتها ساطعة ، لكنها كثيبة . أكلمها فتخاطبنى ، ولكن ماذا قلنا ؟ لاأعلم . قد نسيت كل شىء . كل شىء . انها قضت ولا أزال أذكر تنهدتها الخفيفة وأنتها الضعيفة . وقد صاح من حولها « آه » ففهمت ان الأمر انقضى .

لم أعد أعلم شيئاً . . .

لمحت كاهناً يخاطبنى بهذه الكلمة : أمعشوقتك ؟ فخيل إلى انه ينال منها ، وهو بعد موتها ، يجب عليه الا يعرف شيئاً من هذا فنفيته من دارها وطلبت غيره ، فخف الى كاهن طيب السريرة . رقيق النفس ، حدثنى عنها فغلب على البكاء .

أمسيت لاأعرف شيئاً ، ولكننى أذكر الاكفان والتابوس الذى ووريت فيه الى الابد .

نزلت فى التراب ، وجاء معها بعض صواحبها ، واخيراً انطلقت وطفت فى السبل شارداً ، وعدت ادراجى ، وفى الغد الباكر حملت نفسى على الرحيل

الفاضل يريد أن يقول إن هذا الاختلاف بسيط لا يؤثر فى التجارب العلمية المعتادة فهو لاشك مصيب ، فان الموازين العادية بالمدارس تزن الى جزء من عشرة آلاف من الجرام ، أى تصل الى الرقم العشرى الرابع فقط . وهذا هو عينه الذى قررته فى مقالى الذى يعترض عليه . فقد قلت فيه « على أن هذه اختلالات لا تؤثر فى حوائج العلم العادية »

ان الكاتب اذا كتب فى الأدب قد يذهب به الخيال عن الدقة ، وقد يغتفر له ذلك ، أما اذا هو كتب فى العلم وجب أن يكون أول ما يقصد اليه الدقة فى التعبير ، ويزداد هذا الواجب وجوبا اذا هو حاول أن يتكلم عن العلم لغير علميين ، فاضطر الى استعارة شىء يسير من لغة الأدب ، وهذا ما نأخذ به دائما . ولكن على القراء كذلك واجب التدقيق عند القراءة . فصاحبنا الذى خلط بين احمد امين واحمد زكى كان من الطبيعى أن يخلط فى فهم المقال . وحضرة الفاضل م . ا . نفسه لا شك قرأ المقال بسرعة ، فانه روى عنى أن الماء الثقيل يتجمد فى درجة أربعة تحت الصفر والذى كتبته ونشر فى المقال كان « فى نحو درجة أربعة » ومعناها بالطبع فوق الصفر لا تحته .

احمد زكى

***

وبالأمس دخلت باريس . . .

ومذ وقع ناظرى على غرتى . . . غرفتنا وسريرنا ومتاعنا . وكل ما يخلفه الميت وراءه ، شعرت بأن أنفاسى تضيق ، وبأن كآبة تتمدد فى احشاء نفسى فتزيد صدرى حرجا . وتبعثنى على القاء نفسى من النافذة . . . لم أستطع البقاء طويلا فى هذه الغرفة التى تتراءى لى فيها محبوبتى ، فأسرعت عازما على الخروج ، فوقع ناظرى على تلك المرآة المصقولة التى كانت تقف إزامها ناظرة الى وجهها وجسدها كل يوم ، تتقن زينتها تجاه هذه المرآة التى كان رسمها ينعكس فيها ، ولا يزال يتراءى على صفحتها . فأدركتنى رعشة عميقة ، وعينى خلال ذلك لا تبرح المرآة العميقة الفارغة التى استرتها — قبل اليوم — فخيل الى أنى أحب هذه المرآة فلمستها فاذا هى باردة . . . ولكن الذكرى ، الذكرى ! ! المرآة الملتهبة المعذبة .

ألا إنهم سعداء ، من تشبه قلوبهم هذه المرآة ترتسم عليها الظلال ثم تمحى . وتنسى كل ما ارتسم عليها وانعكس فيها .

برحت مكانى وانا غير مختار . ولا أعلم أية وجهة اسلك ! ؟ فدخلت المقبرة فألفيت ضريحها المنفرد يشرف عليه صليب رخامى نقش تحته

« انها أحبت ، وكانت محبوبة ، ثم ماتت . . . »

انها تحت هذا الضريح قد عبث فيها الفساد ! مكثت هنالك طويلا خاشع الرأس حتى واتى المساء ، ولكن خطرة غريبة صعدت من نفسى هى خطرة عاشق يائس تحدثنى وترغمنى على قضاء الليل بجانبها ذاكراً باكيا ، ولكن الناس سينظرون الى وسيطردوننى فما عسى أصنع ؟ نهضت وأبديت لمن يرانى انى ضال بين القبور ، فسرت وأمعنت فى السير ، ولكن ما أضأل مدينة الموتى ازاء غيرها من مدن أهل الحياة ، والموتى ينيف عددهم على عدد الاحياء .

يتخذ القصور الشامخة والدور الباسقة والسبل الفسيحة أبناء النور ، وشاربو النبيع ، وراشفو ابنة الاعناب ، وآكلو سنابل الحقول ، أما الموتى الذين تحدروا الى أعماق الثرى وما زالوا يتحدرون . أولئك لا ينالون شيئا . . . رقعة من الثرى تضمهم والنسيان يطوى أسماءهم . ووداعا .

فى زاوية من زوايا المقبرة الآهلة بسكانها وقع ناظرى على المقبرة العتيقة التى اختلط رفات أصحابها بالتراب ، وأتى على صلبانهم الهلاك . وغدا سبيدل الاحياء بالنازلين القدماء ، نازلين محدثين . كان يغشى تلك المقبرة ورود منتشرة ، وأوراق سوداء ، كأنها حديقة كئيبة شاحبة تغذيها الحوم الموتى .

آويت الى جذع شجرة توارت به عن الناس . ولبثت مرتقبا قابضا على الجذع كما يقبض الغريق على بقية من بقايا زورقه المحطم حتى مد الظلام رواقه ، فغادرت مكانى وطفقت أطوف متمهلا بين اللحود

ضللت كثيراً وأنا أتلمس قبرها . فكنت أسرى باسطا يدى . وفاتحا عينى ، وراثيا بين القبور على غير هدى ، فكم قبور لمحت ، وكم رسوم وقفت عليها كاعمى يود أن يهتدى الى سبيله . فلمست حجارة وصلبانا . وأكاليل ذوت أزاهيرها ، وأكاليل من زجاج . وتلوت اسماء كثيرة بيدى ولكننى لم أجدها .

لا قرار فى السماء يزيح هذه الظلمة الداجية . ! وياله من ليل ، يعث فى نفسى الهول . أغشى الطريق تغمر جانبيها القبور . القبور عن يمينى . والقبور عن شمالى . والقبور امامى ووراءى . أعيانى السير فاستويت على ضريح فسمعت خفقان قلبى وسمعت شيئا غير خفقانه .

ما ذا أسمع ؟ أهذه وساوس تعيث فى رأسى ؟ ! وهذه اسماء تتصاعد من الارض الطالحة باشلاء بنى الانسان ؟

كم مضى على من الزمن وأنا لابث فى مكانى ؟ لا أعلم : ولكن الخوف قابض على قلبى بكلتا يديه لا يبرحه . هممت باكيا أصيح ، وأوشكت أن أقضى نحبى .

فجأة شعرت بان لوح الضريح الذى تخذته مقعدا لى بدأ يتحرك كأن شيئا تحته يزيحه ، فنعدت عنه مذعوراً واذا باللوح يمشى . . . وصاحبه ينتصب بهيكله العظمى . ازاح بظهره المقوس لوح الضريح فألقاه على الارض

فتلوت على اللوح برغم حلوكة الليل : (هاهنا يرقد (جاك أوليفيان) المتوفى فى الخمسين من عمره . كان باراً بأبويه ، وكان صالحا شريفا . ومات تحت كنف الله)

رأيت الميت يحدق فى هذه الكلمات ثم جاء بحجر مسنون يمحوها حتى لم يبق لها من اثر . ثم أخذ ينظر مكانها وتناول عظمة من عظامه وسطر عليها بأحرف بارزة (هاهنا يرقد جاك أوليفيان المتوفى فى الخمسين من عمره . قد عجل موت والديه لعقوقه ، وأضنى

امرأته . وعذب أولاده وخدع جيرانه وسرق ما استطاع ومات فقيراً) .

أتم الميت تسطيرها وظل يتأمل فيها ، وغادرت مكانى فاذا القبور جميعها مفتحة ، وسكانها جميعا بعثوا من مراقدهم ، ومحوا الصفات الكاذبة التى سطرها أهلوهم على لوحات قبورهم ، ونقشوا مكانها حقائقهم المجردة ، فوجدت أن جميع هؤلاء الآباء الصالحين والزوجات الأمينات ، والابناء الطاهرين ، والغوانى العفيفات ، وازهؤلاء التجار المستقيمين ، منهم العاق والبغيض ، واللئيم والمرائى ، والكاذب والحاسد والنمام ، ومنهم السارق والخادع ، والمرتكب كثيرا من الآثام . رأيتهم جميعا منكبين على منازلهم يسطرون حقيقة أنفسهم التى يجهلها أو يكاد يجهلها أبناء الحياة .

شعرت — اذ ذاك — بأن محبوبتى خطبها خطبهم ، فعجلت اليها نافضا عنى الخوف ، ومن حولى القبور المفتوحة . والجثث المنشورة والهياكل المنتصبة . عرفتها إذ لمحتها ، ولم أتوسم وجهها المنصب عرقا . وعرفت القبر الذى كانت هذه الجملة مسطورة عليه (انها أحبت . وكانت محبوبة ثم ماتت) .

تلوت هذه الجملة الثانية (خرجت يوما لتخون حبيبها فأصابها برد أودى بحياتها)

*
* *

ويبدو لى انهم عثروا بى راقدا عند شروق الشمس على أحد القبور .

خليل هنداوى

الملاح التائه
ديوان الشاعر على محمود طه
يصدر
فى اول مايو

فى المزرعة

بقلم ايفان بونين

كان ذلك الوهج الوردى الغائر المنبعث من الغروب الذاوى يغادر السماء متلكئا متباطئا . وتوارى الضوء شيئا فشيئا بين جحافل الظلام التى أخذت تخيم فوق مزارع الغلال الفسيحة المترامية . ثم أمعنت تلك الجحافل فى الزحف حتى على القرية . بعد ان ارسلت بعض النوافذ المنيرة فى جدر الاكواخ وميضا نحاسيا خالبا يستبى اللب . كان المساء هادئا ساكنا . قد حشدت قبيل قليل قطعان الماشية فى حظائرها ، واحكمت دونها الرتج والاغلاق . وآب أهل القرية من عملهم المضنى فتناول كل عشاءه على الحصباء قبالة أكواخهم ثم غرقوا فى صمت ساهم عميق . لاصوت لغناء ولا صرخة لطفل

كل شىء كان يحلم حلمه المسائى . وكان الكابتن ايفانيش وقد جلس الى نافذته المفتوحة يحلم أيضا .

كانت «عزبته» فوق رابية آجام واطئة من الاقاقيا والليلاك تحتها انجم كثيفة ملتفة مشتبكة من القراص والحماض تنحدر الى أسفل فى اتجاه الوادى . ومن النوافذ تستطيع العين ان تقطع مسافات شاسعة فوق تلك الايك والاحراج البالغة مكانا قصيا .

كانت الحقول ساكتة صامتة تحت ذلك العسق الشاحب ، قد انقطعت فيها الحركة . والهواء جافا دافئا عليلا . والنجوم فى السماء ترتجف باستحياء . وفى غموض مبهم كأنما تختفى فى باطنها اسرارا لاتدرك وأحاجى لا تحل .

ليس هناك تحت النافذة الا بضع جنادب دائبة فى صريرها المتشابه من غير كلل ولا ملل ، وهى فى مكامنها تحت عساليج القراص والاصيحات السمائى المترنة الآتية من السهل النائى البعيد .

كان الكابتن ايفانيش وحده . كدأبه دائما . لقد كتب له ان يعيش وحيدا يقاسى آلام الوحدة ما بقى حيا .

كان ابواه لا يملكان شيئا ، يعيشان فى بيت الامير (بوكايسكى) ماتا إبان طفولته ولما يبلغ من العمر سنة واحدة . قضى أيام طفولته وفتوته فى بيت عمة له مخبولة وفى مدرسة ابناء الجنود . كان فى شبابه ينظم الاغانى ناسجا فيها نسج ديلفك و كولتسوف . نظم فى قصائده